

صورة أوروبا عند المهاجرين غير الشرعيين - دراسة ميدانية على ضوء مقارنة

جون كلود أبريك

L'image de l'Europe chez les émigrés clandestins - Etude empirique à la lumière de l'approche de Jean Claude Abric

The image of Europe by illegal immigrant  
-practical study by the approach of Jean Claude Abricأ.د. رابح العايب<sup>1</sup>، د. مها عفاقينة<sup>2</sup><sup>1</sup> مخبر علم النفس وإدارة المنظمات - جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - الجزائر<sup>2</sup> مخبر علم النفس وإدارة المنظمات - جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - الجزائر

تاريخ النشر: 2018/07/01

تاريخ القبول: 2018/06/28

تاريخ الإرسال: 2018/05/11

**ملخص:** تهدف هذه الدراسة الميدانية لتسليط الضوء على ظاهرة الهجرة غير الشرعية في الجزائر من خلال مقارنة جون كلود أبريك حول التصورات الاجتماعية، وقد قمنا برصد محتوى و تنظيم صورة أوروبا عند مجموعة من الشباب الذين أقدموا على الهجرة السرية، معتمدين على المنهج الوصفي و تقنيات جمع و تحليل التصورات الاجتماعية، و بينت النتائج أن المهاجرين غير الشرعيين يحملون صورا اجتماعية تنتظم وفق عناصر مركزية و أخرى محيطية تصف الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية و حتى الثقافية لأوروبا و التي أثرت على قراراتهم و سلوكياتهم.

**الكلمات المفتاحية:** التصورات الاجتماعية؛ الهجرة غير الشرعية؛ الشباب؛ صورة أوروبا؛ نظرية النواة المركزية

**Abstract :** This study shed some light on the phenomenon of illegal immigration in Algeria using the approach of social representations. We investigated the content and structure of Europe image held by group of youth who have tried immigrate illegally. Depending on the descriptive method and techniques of collecting and analyzing social representations. The results show that the social representations of Europe are organized in accordance with elements describing the economic, social and even cultural aspects Which influences their decisions and behavior.

**Keywords:** Social representations, illegal emigration, the image of Europe, youth, the approach of central nucleu.

**Résumé :** Cette étude pratique vient à point nommé pour donner un éclairage sur le phénomène de l'émigration clandestine en Algérie à travers l'approche de Jean Claude Abric sur les représentations sociales, car ce problème commence à prendre de l'ampleur et menace actuellement une vaste catégorie de la population. Nous nous sommes attelés à étudier le contenu et la structure de l'image de l'Europe chez un groupe de jeunes qui ont tenté l'émigration clandestine, et ce à l'appui de la méthode descriptive et des techniques de recueil et d'analyse des représentations sociales. Les résultats démontrent que les représentations sociales de l'Europe sont organisées en fonction d'éléments, qui sont en relation avec les aspects économiques, sociaux et même culturels.

**Mots clés:** Les représentations sociales, l'émigration clandestine, jeunesse, l'image de l'Europe, L'approche noyau central.

**مقدمة:** الهجرة ظاهرة اجتماعية-بيعية للمخلوقات، لها دور هام في تلاقي المجموعات البشرية. فهي دورة كونية وممارسة تاريخية كان لها أبعاد الأثر في تكوين الحضارات الإنسانية ونشوء المدنية. غير أن هذا المفهوم تحول من نمط-بيعي عادي إلى آفة تهدد الاستقرار والأمن، فأصبحت تحدياً حقيقياً مطروحا أمام المجموعة الدولية نظراً للمخاطر الناجمة عنها، حيث صنفت في المرتبة الثالثة بعد المتاجرة بالمخدرات والأسلحة (الأصفر، 2010، ص. 20).

و بذلك فالهجرة غير الشرعية ظاهرة عالمية، وهي وإن كانت تجري بصورة سرية إلا أن ما تكشفه وسائل الإعلام بين فترة وأخرى، يدل على ما يظهر منها، أو ما تشاء الصدف، أو الحظ العاثر للقائمين بها من كشفه أو اكتشافه، إذ تمتد على مساحة غالبية دول عالم اليوم. فمن الصعوبة بمكان تحديد حجم هذه الهجرة، نظراً لطبيعتها، كون المهاجر السري يتوزع على صنوف متعددة و لعل هذا ما يفسر تضارب التقديرات حول عدد المهاجرين غير الشرعيين، فمنظمة العمل الدولية مثلاً تقدر حجم الهجرة غير الشرعية بما بين 10 و 15% من عدد المهاجرين في العالم، و حسب تقديرات الأمم المتحدة يبلغ حجم هذه الهجرة 178 مليون شخص، كما أن منظمة الهجرة الدولية قدرت حجم الهجرة غير الشرعية إلى دول الإتحاد الأوروبي بحوالي 1.5 مليون شخص (كليمنز، 2009، ص. 25).

## 1- الإشكالية:

تعتبر الجزائر من بين الدول المتضررة من الهجرة غير الشرعية، سواء كدولة مصدرة للمهاجرين غير الشرعيين خارج حدودها الجغرافية أو كدولة مستضيفة للمهاجرين الأفارقة بمختلف جنسياتهم، و قد خلفت هذه الأزمة مزدوجة الأبعاد واقعا معقدا. فعلى الصعيد الداخلي، تنامت الهجرة غير الشرعية في الجزائر أو ما يعرف بظاهرة "الحرق" وسط شرائح واسعة و مختلفة من المجتمع الجزائري، حيث تنعكس هذه الظاهرة في العديد من المقولات التي نسمعها أو نقرأها على جدران العمارات والمؤسسات أو كهتافات في مدرجات الملاعب و الحفلات، بل أكثر من هذا في فضاءات الشبكات الاجتماعية لتعبر عن قبول اجتماعي مرتبط بالكرامة و المباهاة و لتتحول من ظاهرة اجتماعية إلى تحد للأنظمة و القوانين و الضوابط الاجتماعية و الأخلاقية و حتى الدينية. فتتظافر في الجزائر كل من العوامل الاقتصادية و الاجتماعية و حتى التاريخية والحضارية لتجعل من الهجرة غير الشرعية المشروع الأمثل لتغيير نمط الحياة ولتكوين بناءات نفسية معرفية أعادت رسم الواقع و أثرت في حياة الفرد و قراراته، فامتزجت كل من البطالة و الفقر و انخفاض الأجور مع الآفات و المشكلات الاجتماعية، زد على ذلك الرواسب التاريخية للسياسة الاستعمارية و الانبهار بحضارة أوروبا و أنماط عيشها و لرق حكمها، فتشكلت أحكام و تصورات اجتماعية كانت بمثابة المحرك و الموجه و حتى المبرر للهجرة غير الشرعية. وتعتبر هذه التصورات "انعكاسا لتاريخ و تجارب و مشاعر و أفكار مشتركة بين العديد من الأفراد تساعد على إعطاء معنى لتصرفاتهم و ممارساتهم، إذ تسمح بالموقع بالنسبة لموضوع التصور بالتوجيه الملائم و بناء السلوكيات المناسبة، فهي رؤية وظيفية للواقع تمنح للفرد و الجماعة من خلال نظامهم المرجعي" (Fischer, 2010, p. 32).

و بذلك فالفرد أثناء فهمه للمحيط و التعامل معه يكتسب و ينمي أنماط تفكيرية تترجم على أنها تصورات اجتماعية أو ذهنيات جماعية تحرك أفعالنا و تفسر حقائق عالمنا، و من رحم هذه القناعات ولدت فكرة دراستنا و التي

تسعى إلى تقديم فهم جديد و أكثر ملامسة لواقع الهجرة غير الشرعية في الجزائر، فالمنطلق الفكري لبحثنا قائم على اعتبار مفاده أن الهجرة غير الشرعية تفهم كعملية بناء تاريخي و اجتماعي، أي عملية تراكم و تجميع لعوامل اجتماعية، نفسية، ثقافية محلية عايشها الفرد في دائرة محكمة الصراع. فطرحنا الأكاديمي يقودنا إلى فهم الهجرة غير الشرعية وفق نسق التصورات الاجتماعية. و في هذا الصدد جاء هذا البحث قصد معرفة الأفكار الجماعية أو بعبارة أخرى التصورات الاجتماعية التي ساهمت في توجيه فئة من الجزائريين للهجرة غير الشرعية، و بذلك عملنا على أن تتجاوز إشكالية بحثنا الجوانب السطحية للظاهرة لتتعداها وتلمس عمق الموضوع. و منها تصاغ في أذهاننا التساؤلات التالية: ما هي التصورات الاجتماعية لأوروبا عند المهاجرين غير الشرعيين؟ و كيف تنتظم هذه الصور وفق نظرية النواة المركزية لجون كلود أبريك؟

## 2- مصطلحات الدراسة:

**1-2 التصورات الاجتماعية:** عبارة عن "مجموعة منظمة من المعلومات والآراء والمواقف والمعتقدات حول موضوع معين، تشكل الرابط الاجتماعي بين الفرد و الجماعة حيث تكون مبنية و متقاسمة اجتماعيا وتتكون من تاريخ الفرد و معاشه من جهة، و النظام أو النسق الاجتماعي و الإيديولوجي الذي ينتمي إليه الفرد من جهة ثانية و نوعية الروابط التي يقيمها الفرد داخل النظام الاجتماعي من جهة أخرى" (Abric, 2003, p. 8).

و تتعدد المصطلحات الدالة على هذا المفهوم في العديد من المراجع العلمية باللغة العربية حيث يستعمل مصطلح التمثيلات الاجتماعية أو المخيال (الخيال) الاجتماعي. أما الدراسات الأجنبية فتداول على استعمال مصطلح التصورات الاجتماعية les représentations sociales أو الصورة L'image للدلالة على مختلف الأفكار التي يحملها مجموعة من الناس حول موضوع معين.

**2-2 الهجرة غير الشرعية:** هي انتقال أفراد أو جماعات من مكان إلى آخر بطريقة سرية مخالفة لقانون الهجرة كما هو متعارف عليه دوليا، و في الجزائر يقصد بالهجرة غير الشرعية أو الهجرة السرية أو الحرقة: مغادرة أو محاولة مغادرة التراب الجزائري و التسلل إلى أراضي الدول الأخرى دون وثائق رسمية أو بوثائق مزورة، سواء عن طريق البر، البحر أو الجو. (المخدومي، 2012، ص. 20)

## 3- المرجعية النظرية للدراسة:

### 1-3 التصورات الاجتماعية وفق مقاربة جون كلود أبريك:

تحتل التصورات الاجتماعية موقعا أساسيا ضمن البحوث النفسية و الاجتماعية، فلطالما ركزت جل الدراسات على الاتجاهات و الآراء في تفسير الظواهر الاجتماعية. غير أن موضوع التصورات الاجتماعية هو الأوسع لإمامه بمعظم النظريات و البحوث الحديثة، إذ تتقاطع معظم الدراسات السلوكية حول التصورات الاجتماعية، كونها عملية متعددة الأبعاد، لها دور أساسي في كشف حقائق المجتمعات من خلال ما تعكسه من عادات وقيم و خبرات فردية و جماعية، و منه كانت انصب ركيزة منهجية لدراسة ظاهرة الهجرة غير الشرعية.

حيث تتحدد "كأشكال للفكر العملي موجهة نحو الاتصال و فهم المحيط و التحكم فيه، وأيضا البث في السلوك و تبريره. فهي نموذج ذهني و حضاري، فردي و اجتماعي والحصيلة لتاريخ شخصي، اجتماعي و ثقافي تتفاعل مع المعارف الجديدة".

فالانتقال من دراسة الاتجاه و الرأي إلى دراسة التصور الاجتماعي منح الدراسات النفسو-اجتماعية بعدا و عمقا علميا في فهم الظواهر و تفسيرها و التحكم فيها، حيث أن التنظير الذي عرفته دراسة التصورات الاجتماعية في السنوات الأخيرة سهّل على الباحثين الخوض في كل مجالات البحث التي لها علاقة بواقع الفرد و معاشه (Moliner, 1996, p.19). وقد عمل العديد من العلماء على تفكيك التصورات الاجتماعية، و انشغل كل تيار بدراسة وتحليل زاوية معينة، مما قدّم لنا رؤية عميقة و متكاملة، فقد ظهرت في البداية مع النموذج السوسيو- تطوري le Modèle sociogénétique لموسكوفيشي الذي عمل على شرح شروط و [رق تشكل التصورات الاجتماعية. في المقابل اقترح ويليام دواز Willem Doise نموذج سوسيو- دينامي Le modèle socio-dynamique ركز فيه على المعتقدات الخاصة التي يكوها الأشخاص عن المواضيع المختلفة للحياة الاجتماعية، و ذلك من خلال ديناميكية تضع الأفراد في حالة تفاعل مستمر، أما الاتجاه الثالث أو ما يعرف بمقاربة النواة المركزية لجون كلود أبريك فقد اتخذ منحى وصفي حيث اهتم بمحتوى و [ريقة انتظام التصورات الاجتماعية و أثرها على السلوك (جلول و بكوش الجموعي، 2014، ص. 168).

إن اختيار مقاربة ميدانية ما، يتطلب الخضوع إلى شروط تحكمها [بيعة الموضوع و أهداف الباحث من الدراسة، فإن كان يعمل على دراسة المنحى التطوري للتصور فعليه تبني نموذج موسكوفيشي، و إن كان يبحث عن العوامل المؤثرة في التصور فانه يتبع نموذج دواز. أما البحث عن محتوى و انتظام التصور فما عليه إلا الاعتماد على مقاربة النواة المركزية و هذا ما تتبناه دراستنا.

و يرى " أبريك " أن التصورات الاجتماعية تنتظم وفق نظام مركزي مرتبط بالمنطقة الأكثر قدما والأكثر ترسخا و المشتقة من الظروف التاريخية، الاجتماعية و الإيديولوجية المرتبطة مباشرة بالمعايير و القيم المعبرة عن الذاكرة الجماعية للجماعة، و من نظام محيطي يتميز بعناصر عادة ما تكون أقرب للواقع الخارجي و أكثر خضوعا للوضعيات، فهو نظام قريب من الحياة اليومية للأفراد، إذ يعتبر أن "التصور عبارة عن مجموعة منظمة حول النواة المركزية، تشمل عنصر أو عدة عناصر، و تعطي التصور معناه" (Abric, 1994, p-p 10-15)

و تختلف القراءات العربية حول هذه المقاربة فالعديد ترجمها حرفيا على أنها مقاربة هيكلية Approche structurale و البعض الآخر استعمل مصطلح المقاربة البنائية معتبرين أن هذه النظرية تسعى إلى التعرف على محتوى و بنية (la structure et le contenu) وانتظام التصورات الاجتماعية و ليس هيكل التصور، بينما استعمل آخرون مصطلحات محايدة كمقاربة جون كلود أبريك l'approche de Jean Claude Abric أو نظرية النواة المركزية la théorie du noyau central.

### 3-2 الهجرة غير الشرعية في الجزائر:

في الواقع الجزائري، تتلاحم كل من الظروف الاقتصادية و الاجتماعية لتجعل من الهجرة غير الشرعية المشروع الأمثل لتغيير نمط الحياة، و لتحليل هذه الظاهرة التي باتت تؤرق الحكومات لا بد من البحث و الكشف عن أهم الدوافع التي تؤدي بالفرد أو الجماعات إلى سلك هذا المسلك الخطير في سبيل البحث عن حياة أفضل، و التي يمكن أن نرجعها إلى عدة ظروف تتمازج فيما بينها لتولد هذه الآفة المستعصية، و قد مرت الجزائر بأزمة متعددة الأبعاد، سياسية، اقتصادية

واجتماعية، و ظاهرة الهجرة غير الشرعية ما هي إلا مظهر من مظاهر هذه الأزمة بل يمكن القول أنها أحد مخارجها، وبالتالي فإن فهم هذه الظاهرة المعقدة يمر حتما بتسليط الضوء على جذورها و أسبابها العميقة و التي تمتد إلى سنوات الاستعمار (بولعراس، 2012، ص. 24).

فالتحولات الجذرية التي عرفتها البلاد سياسيا في أواخر القرن العشرين و التي صوحت بأزمة أمنية حادة، تجلت بمواجهة الإرهاب أو ما يعرف بالهجرة غير الشرعية السوداء، و مختلف الأزمات الاقتصادية الكبيرة التي مرت بها الدولة من انخفاض سعر البترول و الذي يعتبر عماد الاقتصاد الليبي. إضافة إلى تفشي البطالة و المحسوبية و سوء التسيير و التباين بين الفقر و الغنى، كل هذه الأسباب ساهمت في زيادة الهجرة غير الشرعية و خلقت ظروف اجتماعية صعبة حيث اضمحلت الطبقة المتوسطة وبرزت أفات اجتماعية كالعنف، جنوح الأحداث والإدمان على المخدرات، فتفشى السلوك العدواني بسبب الإحباط النفسي والتهميش الذي يعيشه الشباب الجزائري، كل هذا الواقع المرير وجد أرضيته المعقدة بسياسات فرنسية تعرضت لها الجزائر لول الحقبة الاستعمارية، عمدت إلى إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية و لمس ملامح الهوية بمميزات العربية الإسلامية، فشكلت هذه الممارسات الاستعمارية تفكيكا للبنية الاجتماعية الأولى كانت لها انعكاسات نفسية عميقة و لولاية المدى على الثقافة الجزائرية (غربي، 2014، ص. 132).

كل العوامل التي ذكرت سابقا خلفت أثارا نفسية عميقة عند المواطن الجزائري، فمن جهة يشعر بالتهميش و الظلم في بلاده و من جهة أخرى يرى في أوروبا الخلاص و الحلم الذي يسعى لتحقيقه سواء بطريقة شرعية أو غير شرعية، فيبقى مشروع الهجرة غير الشرعية، مشروع مخالفة و مغامرة بامتياز، فمن نراهم أو نسمع عنهم، هم فقط المهاجرون الذين نجحوا في عمليات العبور و هم قلة قليلة مقارنة بالأغلبية الذين فشلوا في تنفيذ هذا الأمل، وكان البحر الأبيض المتوسط قبرا لهم. رغم غياب الإحصاءات الرسمية حول هذه الظاهرة السرية إلا انه و في سنة 2015 فقط تم إحباط 1500 محاولة هجرة غير شرعية من طرف حرس السواحل الجزائرية، كما رفضت الشرطة الفرنسية دخول 1259 شخص بسبب تزوير التأشيرة أو أوراق السفر، و تم إرد 3217 مهاجر جزائري و إحصاء 10 آلاف جزائري تجاوزوا تاريخ التأشيرة في البلدان الأوروبية (اموساين، 2015، ص. 2).

#### 4- الإجراءات المنهجية:

##### 4-1 المنهج المعتمد:

تم الاعتماد على المنهج الوصفي لأنه يتلاءم و مشكلة البحث و أهدافها، فدراسة صورة أوروبا عند المهاجرين غير الشرعيين يتحقق وفق هذا المنهج الذي يعتمد على تحليل وتفسير علمي منظم يصف الظواهر السيكولوجية و الاجتماعية كما هي في الواقع. غير أننا لم نلتزم بالأساليب المعروفة على هذا المنهج، بل بقنا تقنيات حديثة لجمع البيانات و تحليلها والتي خصصت لرصد الصور الجماعية لموضوع ما، فقد بعث التصورات الاجتماعية رؤيتها المنهجية الخاصة بها و التي تصنف بالعموم تحت غطاء البحوث الوصفية.

##### 4-2 عينة الدراسة:

إن أفضل فئة تخدم أغراض هذا البحث هي العينة القصدية حيث أجريت الدراسة على مجموعة من المهاجرين غير الشرعيين و البالغ عددهم 60 "حراقا". و كان شرطنا الأساسي الذي يضمن الدخول تحت هذه المجموعة هو إقدام الأفراد فعليا على الهجرة غير الشرعية وخوض تجربة الحرقه، أو بصفة أخرى المرور إلى الفعل سواء نجحوا في العبور إلى الضفة الأخرى أم أعيدوا إلى أرض الوطن، إذ أننا أقصينا كل من يرغب في الحرقه و لم يقدم على هذا الفعل.

النسبة المئوية	التكرار	الخصائص	
45	27	مستوى أساسي	المستوى الدراسي
28,33	17	مستوى ثانوي	
26,66	16	مستوى جامعي	
62,79	38	أعزب	الحالة المدنية
36,66	22	متزوج	
51,66	31	بطل	العمل
18,33	11	عامل دائم	
30	18	عمل حر أو عمل يومي غير قار	
11,66	14	حالة فقر شديد	المستوى الاقتصادي
48,33	29	دون المستوى	
40	17	مستوى متوسط	

جدول رقم 01 : خصائص أفراد عينة دراستنا

و للإشارة فان الحصول على أفراد و بهذه المواصفات لم يكن بالأمر السهل، فقد اعتمدنا على تقنية كرة الثلج، و هو أسلوب يستخدم في البحوث التي يكون الوصول إلى وحدات الدراسة فيه صعبا جدا، أين يستحيل توفر بيانات مسجلة عن وحدات مجتمع الدراسة، وبالتالي يصعب الوصول إليها بطرق المعاينة الأخرى، و بذلك فإن هذه التقنية أوصلتنا إلى عينة مقصودة كلها من الذكور تراوحت أعمارهم بين 18 و 42 سنة مع متوسط حسابي قدر بـ 29 سنة.

النسبة المئوية	التكرار	تجربة الهجرة غير الشرعية	
58,33	35	مرة واحدة	عدد المرات التي أقدم فيها على الهجرة غير الشرعية
23,33	14	مرتان	
18,33	11	ثلاث مرات و أكثر	

48,33	29	قارب خشبي أو مطاقي	الطريقة المستعملة للهجرة غير الشرعية
16,66	10	بواخر تجارية	
20	12	عبر الحدود التركية	
15	9	تجاوز مدة التأشيرة	
41,66	25	مشاكل اقتصادية (فقر بطالة)	الأسباب التي دفعتهم إلى الهجرة غير الشرعية
43,33	26	مشاكل اجتماعية (مشاكل أسرية، غياب العدل و المساواة)	
15	9	أسباب أخرى ( الاستكشاف، السياحة، المغامرة...)	
38,33	23	فشل الرحلة	كيفية الرجوع إلى ارض الوطن
58,33	35	الترحيل	
03,33	2	الرغبة الذاتية	
33,33	2	نعم	الندم على تجربة الهجرة غير الشرعية
96,66	58	لا	
68,33	41	نعم	الرغبة في إعادة تجربة الهجرة غير الشرعية
31,66	19	لا	

الجدول رقم 02 : معلومات حول تجربة الهجرة غير الشرعية الخاصة بعينة دراستنا

### 3-4 أدوات جمع البيانات:

#### أ- تقنية الاستحضار لفرجاس: *La technique d'évocation de vergés*

عبارة عن أداة صممت خصيصا في إطار مقارنة النواة المركزية، أعدت من طرف العالم فرجاس (1992)، تستخدم أسلوب التداعي الحر انطلاقا من كلمة الحث، حيث توفر لنا مؤشرين هرميين هما: تكرار البنود و ترتيب الظهور، و عدلت هذه التقنية جزئيا من طرف جون كلود أبريك و ركز على معامل الأهمية بدل ترتيب الظهور معتبرا أن: "الكلمات الأكثر أهمية لا تظهر إلا بعد مرحلة من التحمية (التحضير أو التسخين)" (Abric, 2003, p62)

إذ يطلب من عينة الدراسة في مرحلة أولى إنتاج كلمات أو تداعي حر حول كلمة الحث "أوروبا" أين كان سؤال الاستحضار كالتالي: عندما تسمع كلمة "أوروبا" ما هي الكلمات أو العبارات التي تحظر في ذهنك؟ هذا السؤال يسمح بإنتاج كلمات بكل تلقائية، أين يطلب من المستجوب في مرحلة ثانية ترتيب عباراته حسب أهميتها عنده و تقيمها من 1 إلى 4 أو 5 حسب عدد الكلمات المنتجة (Moliner & Rateau & Chen-Scali, 2002, p. 70).

#### ب- تقنية التشكيك: *La technique de mise en cause*

تعد من التقنيات الخاصة بتحديد عناصر النواة المركزية بطريقة نهائية و غير قابلة للتفاوض، والمركزية هي خاصية كيفية، بمعنى إما أن يكون العنصر من النواة المركزية أو لا، فهذا الأمر لا يقبل الحلول الوسطية أو التفاوض. صممت من طرف باسكال موليني Pascal Moliner تستند على فكرة أن إزالة أو محو عناصر النواة المركزية يؤدي إلى تغيير التصور.

و تأتي صياغة و تطبيق و تحليل هذه التقنية كأخر مرحلة من مراحل دراسة التصورات الاجتماعية لموضوع ما، فبعد تجميع البيانات و تحليلها و معرفة محتوى التصورات، يتم الانتقال إلى المرحلة الأخيرة التي تحدد بيقين انتظام التصور وفق العناصر المركزية والمحيطية، حيث نقوم باستخراج العناصر المرشحة لان تكون مركزية من المراحل السابقة ويثار موضوع التصور بطريقة عامة و غامضة، كما توضع هذه العناصر المرشحة على شكل جمل استفهامية تثير مدى التعرف على موضوع التصور أم لا. وقد تم تطبيق كل من تقنية الاستحضار التدرجي و التشكيك عبر مقابلات نصف موجهة جمعنا بعينة بحثنا، حيث عملنا على تجميع البيانات حول حياة المهاجرين وتجربتهم في الحرق و التي عرضت نتائجها في الجدول رقم 1 و 2 و فصلت مكونات صورهم لأوروبا في المراحل اللاحقة.

#### 4-4 أساليب معالجة و تحليل البيانات:

في سعينا لتحقيق الأهداف و تقصي التصورات الاجتماعية، اعتمدت الدراسة على أساليب معالجة و تحليل البيانات الخاصة بالتصورات الاجتماعية، و هي عبارة عن تقنيات تمزج بين الكمي و الكيفي لتحويل لنا المعطيات الخام إلى قضايا مركزة ذات دلالات معرفية عملية نفسية-اجتماعية في آن واحد.

و في دراستنا هذه [بقنا أسلوب التحليل النمطي Analyse prototypique و هي من التقنيات التي تندرج تحت إطار مقارنة جون كلود ابريك، و تهدف إلى دراسة [ريقة انتظام التدايعات و الاستحضارات وفق نواة مركزية و نظام محيطي، بدأت هذه التقنيات مع Grize, Vergés, Silem (1987) و نظمت فيما بعد من طرف Vergés (1992-1994). في الأخير، عدلت مع أريك ليستبدل رتبة الظهور و يدخل عامل جديد هو رتبة الأهمية أين اعتمدنا على هذا التغيير الجديد في التحليل النمطي لدراسنا.

كما تم الاعتماد على اختبار كولموغوروف-سميرنوف Kolmogorov-Smirnov و هي تقنية إحصائية استعملها مؤسس تقنية التشكيك لمقارنة التكرارات المحصل عليها.

#### 5- نتائج الدراسة:

#### 5-1 عرض و تحليل نتائج تقنية الاستحضار لفارجاس:

بعد إجراء المقابلات نصف الموجهة والتي [بقت من خلالها تقنية الاستحضار على 20 مهاجر غير شرعي، استطعنا جمع بيانات أساسية حول الحقل الدلالي و المحتوى الضمني للتصورات الاجتماعية لأوروبا عند الأفراد المبحوثين، حيث لمسنا غزارة الإنتاج اللفظي لمجرد سماع كلمة الحث، فقد أنتج كل فرد 5 عبارات بطريقة سريعة و تلقائية، كما لاحظنا عدم قدرتهم على التكيف و العيش في محيطهم و الاغتراب النفسي الكبير الذي يعانون منه، كما عبروا على الرغبة العميقة في العودة إلى أوروبا و بأي [ريقة كانت، مظهرين عدم ندمهم على تجربة الهجرة غير الشرعية و جدية السعي لإعادة محاولة التسلل إلى الأراضي الأوروبية مهما تطلب الأمر.



وبينت النتائج خمس كلمات تمثل كل واحدة إنتاج شخص واحد و بذلك يكون المجموع 100 عبارة (O). و قبل إتمام دراسة التصورات الاجتماعية يلزم علينا حساب مؤشر التنوع *Indice de diversité* - والذي يوضح ما إذا استعمل المهاجرون غير الشرعيين كلمات متنوعة ومختلفة أم توافقت صورههم حول أوروبا، أما مؤشر الندرة *Indice de rareté* فيبين اختلاف الكلمات المنتجة من خلال عدد التدايعات المذكورة مرة واحدة، والمؤشران يبينان مدى انتظام و ثبات محتوى التصورات الاجتماعية.

مؤشر التنوع T/O	(T)	(O)	التصور الاجتماعي
0,33	33	100	أوروبا وفق تقنية الاستحضار

جدول رقم 03: مؤشر التنوع للتصورات الاجتماعية لأوروبا

➤ (O): عدد الإجمالي للكلمات المنتجة *nombre total des occurrences*

➤ (T): العدد الإجمالي للكلمات المختلفة *nombre total des mots différents*

يوضح الجدول الثالث مؤشر التنوع الخاص بنتائج تقنية الاستحضار التدريجي، إذ يتم تقسيم عدد الكلمات المتكررة على العدد الإجمالي للكلمات، و قد كانت النتيجة 0,33. يدل هذا المؤشر على أن التصورات الاجتماعية لأوروبا منظمة جيدا، فكلما كانت النتيجة قريبة من الرقم 0 كلما زاد تنظيم التصور الاجتماعي، و كلما نزل المؤشر و قرب من 1 كان ذلك دليلا على عدم انتظام التصور و عدم تكونه.

مؤشر الندرة O/Hapax	Hapax	(O)	التصور الاجتماعي
0,12	12	100	أوروبا وفق تقنية الاستحضار

جدول رقم 04: مؤشر الندرة للتصورات الاجتماعية لأوروبا

➤ Hapax: عدد الكلمات المختلفة التي تظهر مرة واحدة

إن مؤشر الندرة هو أداة لقياس الحقيقة الداخلية لمكونات التصورات الاجتماعية، إذ يرتبط بنسبة Hapax أي بعدد الكلمات المذكورة مرة واحدة، فكلما زاد عدد هذه الكلمات كلما ارتفع مؤشر الندرة نحو 1، ما يعكس صراعا معرفيا داخل التصور، بمعنى أن النواة المركزية تخضع إلى اختلاف اصطلاحي و أن التصور الاجتماعي غير مستقل، و العكس صحيح، كلما قل عدد Hapax كلما انخفض مؤشر الندرة إلى 0 مما يدل على أن التصور مستقل ومتوافق. و هذا ما بينته نتائج الجدول رقم 4، فمؤشر الندرة الخاص بدراستنا يمثل 0,12 أي يقترب إلى 0 أكثر من الاقتراب إلى 1 و بذلك فالتصور الاجتماعي لأوروبا مستقل ومتوافق.

التحليل النمطي:

نعمل في هذا التحليل على استخراج عنصرين أساسيين لكل استحضار، الأول هو التكرار  $F$  و الثاني متوسط ترتيب الأهمية  $R$ ، و قد تم تحديد العتبة "le seuil" الخاصة بالتكرارات بحساب المتوسط الحسابي، أما العتبة الخاصة برتبة الأهمية فقد اعتمدنا على قانون Zipf للإحصاء، إذ أن تلاقي هذين الخاصيتين ( $R$ ,  $F$ ) عند كل البيانات تصمم لنا 4 وضعيات ممكنة، كما هو موضح في الجدول:

رتبة الأهمية Rang d'importance			
متوسط رتبة أهمية قوي $Y \leq 3,01$	متوسط أهمية ضعيف $Y > 3,01$		
عناصر محيطية أولى	نواة مركزية	تكرار قوي 3,03 $X \geq$	Fréquence التكرار
الحياة 9 (3,33) الزواج 8 (3,75) العدل 7 (3,28) السكن 5 (3,4) التطور 5 (3,6) الاستقرار 4 (3,5) المال 3 (3,66) السياحة 3 (4,66)	العمل 11 (2,63) الحقوق 5 (1,6) المستقبل 5 (2,6) الحرية 4 (3) التسلية 3 (2)		
عناصر محيطية ثالثة	عناصر محيطية ثانية	تكرار ضعيف 3,03 $X <$	
الكرامة 2 (3,5) العلاج 2 (3,5) الديمقراطية 2 (4,5) الهدوء و السكنية 1 (4) التلذذ بالشهوات 1 (4) الألوان 1 (5) التفتح 1 (5)	معاملة إنسانية 2 (1) أوراق الإقامة 2 (1,50) المساواة 2 (2) الحضارة 2 (2,50) القانون 2 (3) الفرج 1 (1) غياب الظلم 1 (1) نقل متميز 1 (2) التربية 1 (3) لا يوجد فقر 1 (3)		

	تغير المكان 1(3)		
	التنظيم 1(3)		
	الأورو 1(3)		

جدول رقم 05: التحليل النمطي حسب تعديل أبريك لمحتوى التصورات الاجتماعية لأوروبا وفق تقنية الاستحضار التدرجي.

### تفسير النتائج:

من خلال النتائج المقدمة ندرك أن التصورات الاجتماعية للمهاجرين غير الشرعيين نحو أوروبا جد منظمة، و هي متمركزة حول مجموعة من العبارات الحاملة لدلالات ذات معنى اقتصادي اجتماعي و حتى ثقافي معيشي يصف مميزات هذه الدول، فالأفراد المستجوبون يرون في أوروبا بلد الحرية والعمل بنسبة جد مرتفعة بل ويصفون عدلها ونظامها واحترامها للإنسان و حقوقه، مع عدم نسيان نمط العيش الجيد الذي يوفر متطلبات الحياة و يتعداها إلى التسلية و الثقافة، فهم يعتبرونها اللجنة في الحياة و القدرة على العيش بحرية و نظام.

و بإعادة النظر إلى الجدول رقم 05، يتضح لنا أن محتوى التصورات الاجتماعية لأوروبا ينتظم وفق أربع خانات، فحسب تعديل أبريك فإن التدايعات المتعلقة بالخانة رقم 1 تميل إلى أن تكون النواة المركزية للتصور، لأنها تعكس انسجاما إيجابيا ومرتفعا بين خاصيتي التكرار ورتبة الأهمية. أما الخانة رقم 2 فامتازت بتكرار جيد و ترتيب ظهور متأخر فهي تمثل النظام المحيطي الأول. و تمثل الخانة رقم 3 حالة من العناصر تعبر عن غموض يترجم على أن هذه الحالات تحتل وضعاً وسطياً يتبلور في " منطقة عدم توازن ظريفي " Une zone potentiellement déséquilibrante أو مصدر تغير محتمل للتصور أين تحتوي على العناصر الفارقة. و تمثل الخانة الرابعة العناصر المحيطية الثانية و التي تضم اضعف تكرار و آخر ترتيب.

### 5-2 عرض و تحليل نتائج تقنية التشكيك:

#### أ - عرض النتائج:

تم تطبيق هذه التقنية على 40 مهاجر غير شرعي، 23 منهم أجابوا عليها وسط مقابلة جمعتنا بهم. أما 17 المتبقين فقد استعنا بمساعدتين (بعضهم من المهاجرين غير الشرعيين الذين استجوبناهم) عملوا على توزيعها على الحراقة الذين رفضوا أو تخوفوا من مقابلتنا.

من ناحية إحصائية، لا بد من مقارنة النتائج المحصل عليها وفق اختبار إحصائي يمكننا من الحصول على قيمة أو عتبة تفسر لنا نتائج هذه التقنية، وبصفة عامة فبمجرد حصول البند على نسبة 100٪ أي 40 تكرارا من الإجابات السلبية الراضة للتشكيك، فهذا يعني دخول ذلك البند ضمن عناصر النواة المركزية، كما انه تعبير عن إجماع من طرف الأفراد المستجوبين

حول هذه الخاصية. فيما عدا ذلك لا بد من اختيار اختبار إحصائي لمقارنة التكرارات المحصل عليها. و في هذه الحالة حدد لنا مؤسس هذه التقنية اختبار كولموغوروف-سميرنوف Kolmogorov-Smirnov و الذي يتطلب شرطا واحدا لتطبيقه هو وجود عينة N تفوق 35 فردا. حيث يقوم هذا الاختبار بحساب DMax الذي يختلف باختلاف حجم العينة المختارة.

$$D = 1 - \frac{1.36}{\sqrt{N}} \times 100$$

$$D = 1 - \frac{1.36}{\sqrt{40}} \times 100 = 78,49$$

و عليه يمكن أن نعتبر أن القيمة المحصل عليها و المتمثلة في 78,49 هي عتبة التكرارات المحصل عليها و المقسمة للبنود إلى عناصر مركزية و أخرى محيطية، فتجاوز هذه القيمة يعني أن البنود مركزية. أما الحصول على نسبة مئوية اقل منها، فهذا يدل على أنها من النظام المحيطي. و عليه فالجدول التالي يعرض لنا التكرارات الخاصة بالإجابات السلبية بالنسب المئوية:

وصف حالة التشكيك	من المؤكد ليست أوروبا
هل تعتبر أن بلدان لا توفر العمل هي	٪85
هل تعتبر أن بلدان ليس فيها العدالة الإنسانية هي	٪87,5
هل تعتبر أن بلدان لا تتوفر فيها الحرية هي	٪82,5
هل تعتبر أن بلدان ليست متطورة هي	٪97,5
هل تعتبر أن بلدان لا تحتوي على أماكن تسلية و ترفيه هي	٪82,5
هل تعتبر أن بلدان لا توفر إمكانية العيش هي	٪75
هل تعتبر أن بلدان لا تحترم كرامة الإنسان هي	٪87,5

الجدول رقم 06: النسب المئوية للمعارضة المحصل عليها وفق تقنية التشكيك

### ب- تفسير النتائج:

يمثل الجدول رقم 06 النتائج المحصل عليها اثر توزيع الاستمارة المكونة لتقنية التشكيك على 40 مهاجر غير شرعي، إذ يتكون الجدول من 7 حالات تشكيك قابلتها التكرارات المحصل عليها، بنظرة أولى نلاحظ أن معظم البنود التي تم تجميعها من مراحل الدراسة السابقة تمت معارضتها بمجرد وضعها في حالة تناقض مع موضوع التصور أو التشكيك فيها، لكن كان ذلك بنسب متفاوتة، فأكثر الخصائص أو البنود التي تم رفضها عند التشكيك بها هي التطور، حيث لم يتعرف 39 فردا على أوروبا عند وضع هذا البند في تناقض، بمعنى آخر أن الدول غير المتطورة لا يمكن أن تدخل ضمن الدول الأوروبية. نفس الشيء لبند التسلية الذي عرف هو الآخر معارضة وصلت إلى 36 فردا، و بذلك قدم لنا هذا الجدول قراءة أولية حول توزيع البنود وفق الأنظمة المكونة للتصورات الاجتماعية، غير أنه كان لزاما علينا إتمام التحليل و تبني أسلوب إحصائي يمكننا

من قراءة و تفسير النتائج المحصل عليها، كما يوضح لنا و بصفة قطعية مكانة كل بند من البنود في التصور الاجتماعي، وعليه تم الاعتماد على اختبار Kolmogorov-Smornov الذي يعمل على مقارنة التكرارات المحصل عليها، حيث وجدنا قيمة  $D$  تصل إلى 78,49. و هذا يعني أن كل بند تحصل على نسبة مئوية تساوي أو تفوق قيمة  $D$  يضمن دخوله ضمن عناصر النواة المركزية، لأنه فاق العتبة المحددة و ضمن معارضة معتبرة. و العكس صحيح، ففي حالة حصول البند على قيمة اقل من 78,49 فهذا يدل على انه من عناصر النظام المحيطي لكونه لم يحقق معارضة كافية، أو بعبارة أخرى امتاز بمرونة إثر وضعه في حالة تشكيك.

و من القيمة المحسوبة  $D$  و الجدول رقم 06 نتمكن من استخلاص كيفية انتظام التصورات الاجتماعية لأوروبا عند المهاجرين غير الشرعيين، فكل من العمل، العدالة الاجتماعية، الحرية، التسلية و الترفيه، كرامة الإنسان من عناصر النواة المركزية، وقد فاقت نسبهم المئوية قيمة  $D$ ، أي أنها عناصر متميزة و ذات صلة وثيقة و قوية بموضوع التصور و المتمثل في "أوروبا". كما أنها خصائص غير قابلة للفصل عنه أو حتى التفاوض حول مركزيتها. فحسب المهاجرين غير الشرعيين، فالفصل أو التشكيك في كل من العمل، الحرية، التطور، الترفيه، الكرامة لم يمكنهم من التعرف على أوروبا، إذ أن التناقض مع أي واحدة منهم يمكن من الحصول على وضعية معارضة. فدل لا تتوفر على الحرية مثلا، لا يمكن أن تكون من أوروبا، أيضا دولا لا تتوفر على العمل، الترفيه... و بذلك هي عناصر مكونة و مؤسسة للتصور الاجتماعي لأوروبا.

أما الحالة العكسية فتمثلت في بند إمكانية العيش، و الذي دخل ضمن عناصر النظام المحيطي باعتباره تحصل على نسبة تقل عن 78,49. فالتشكيك في "إمكانية العيش" لم يعرض أوروبا إلى خطر كما لم يشكل معارضة ذات دلالة، فقد تمكن هذا البند من التكيف و امتاز بمرونة إثر وضعه في حالة تشكيك مما جعله من عناصر النظام المحيطي.

فتكونت عند هذه الفئة صورا حول أوروبا ساهمت في إقدامهم على الهجرة غير الشرعية كوسيلة للهروب و تغيير الواقع أو حتى كمبرر لأفعالهم، فيرونها بلد العمل، و يرون الحرية في المرتبة الأولى و كنواة مركزية لتعبير بدلالة قوية على أنهم لا يهاجرون من اجل العمل فقط، بل من اجل الحرية أيضا، إذ أن العديد منهم ينعم بطيب العيش في الجزائر لكن رغبة الغوص في الجنة الأوروبية و التي توصف في الرتبة الثانية وفق نظام محيطي على أنها بلدان: النظام، المساواة، التطور، الثقافة. جعلهم يقررون الهجرة حتى لو اعتمدوا على [رق غير شرعية، مبررين بأن الحلم و الحياة الأوروبية تستحق عناء المخالفة بالحياة، فيشكلون عالما خاصا يتبنون فيه نموذجا ذهنيا، حضاريا، اجتماعيا يجسد خبراتهم وتاريخهم الشخصي و حتى الجماعي الذي يصل في تكوين معرفي وظيفي يدعى التصورات الاجتماعية حول أوروبا، تتحول بدورها إلى حقائق اجتماعية لا يمكن الطعن فيها، فيظهر تأثير التصورات المستمدة و المعززة من المجتمع بما يحمله من قيم و معايير و أنماط سلوكية تشرع ضمنا أو فعليا المخالفة بالحياة من خلال صور ايجابية مشتركة و متقاسمة حول أوروبا.

#### الخاتمة:

لمست هذه الدراسة مجموعة من الآراء، و الأفكار و المعتقدات المشتركة بين مجموعة من الشباب الذين أقدموا على مغامرة الهجرة السرية، فمن خلال النتائج المقدمة ندرك أن التصورات الاجتماعية للمهاجرين غير الشرعيين نحو أوروبا جد منظمة وهي متمركزة حول مجموعة من العبارات الحاملة لدلالات ذات معنى اقتصادي، اجتماعي وحتى ثقافي معيشي يصف مميزات هذه الدول، حيث كانت بالعموم تصورات ايجابية تحمل في [ياتها مبررات قبلية لمن يرغب في إعادة تجربة الهجرة غير

الشرعية، أو حتى بعدية تبرر ما أقدموا عليه سلفاً، و هي في الحقيقة انعكاس لمعاش و حياة و ظروف صعبة تعيشها هذه الفئة، فصورة أوروبا عندهم ليست مجرد إعادة موضوع أو واقع غائب عن لريق استحضاره ذهنياً، و إنما هي عملية إعادة بناء الواقع وفق عوامل فردية و اجتماعية تنظمها قيم و معايير اجتماعية. فهي ديناميكية تمزج بين تاريخ و حاضر و حتى مستقبل المجتمع، فالتفاعل بين ما هو مادي و ما هو ذهني يساعد على إدراك ما يحدث من حولنا و تأويله وفق مجسّدات حياتنا الشخصية و سجل قيمنا، عاداتنا، ثقافتنا و علاقتنا بالآخرين.

والمهاجر غير الشرعي يبني واقعه بالاعتماد على كمية المعلومات المكتسبة حول أوروبا ونوعيتها وكيفية تنظيمها، فقد اهتم المهاجرون بمعلومات على حساب أخرى نازعين سياقها الاجتماعي الأول و المعقد بالنسبة لهم، فالمعلومات منفصلة عن المجال العلمي الذي تنتمي إليه فهي ملكية خاصة يتحكمون في مكوناتها، و أوروبا وفق تصوراتهم عبارة عن مجموعة من الدول التي توفر العمل، العدالة الاجتماعية، الحرية، التسلية، التطور، الترفيه و كرامة الإنسان بمركزية قوية، لتوصف في مرتبة محيطية على أنها بلدان المال، النجاح، المستقبل، الاستقرار، التفتح، العلاج، الحضارة، السعادة... و قد نزع من أوروبا سياقها الاجتماعي السليبي و أبقى المهاجرون غير الشرعيين على تصورات واصفة لمميزات هذه الدول الاقتصادية، الاجتماعية و الثقافية المعيشية و لم تذكر أي جوانب سلبية أو نقص تميزت به هذه الدول كتاريخها الاستعماري أو الأزمات الاقتصادية التي تمر بها، و فضلوا الاحتفاظ بالمعلومات المنتقاة و المنظمة و المبررة لسلوكياتهم و العاكسة لمعارفهم المستمدة من عالمهم الخاص، عالم المهاجرين غير الشرعيين الذي تحكمه قيم و معايير ترى في هذه الدول الجنة الموعودة، مما يفسر إصرارهم على التضحية حتى بالنفس في سبيل الوصول إليها.

#### قائمة المراجع:

- الأصفري، أ. (2010): الهجرة غير الشرعية: الانتشار و الأشكال و الأساليب المتبعة. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

- المخدومي، ع. (2012): الهجرة السرية و اللجوء السياسي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- اموساين، ك. (2015): الهجرة غير الشرعية من الجزائر نحو أوروبا في المرتبة العاشرة عالمياً. الجزائر: يومية الجزائر، 1410، 2.

- بولعراس، ف. (2012): إشكالية الهجرة غير الشرعية في الجزائر و أزمة الدولة. الرباط: مركز جنوب شمال.

- جلول، أ. بكوش الجموعي، م. (2014): التصورات الاجتماعية -مدخل نظري-. واد سوف: مجلة الدراسات و

البحوث الاجتماعية، 6، 167-185

- غربي و آخرون (2014): الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط: المخاطر و استراتيجيات المواجهة. بيروت: الروافد الثقافية.

- كليمنز، م. (2009): إحصائيات المهاجرين: تقرير لجنة بيانات الهجرة الدولية حول أبحاث و سياسات التنمية. واشنطن: مركز التنمية العالمية.

- Abric, JC. (1994) : Pratiques sociales et représentations. Paris : PUF.

- Abric, JC. (2003) : Méthodes d'études des représentations sociales. Paris : érés.

- Fischer. G. (2010) : Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale. 4<sup>e</sup> édition. Paris : DUNOD.
- Flament, C & Rouquette, M. (2003) : Anatomie des idées ordinaires. Paris : Armand Colin.
- Jodelet, D. (2003) : Les représentations sociales. Paris : PUF.
- Moliner, P. (1996) : Images et représentations sociales. Grenoble : Presses Universitaires de Grenoble.
- Moliner, P & Rateau, P & Cohen-Scali, V. (2002) : Les représentations sociales : pratiques des études de terrain. Rennes : presses universitaires de Rennes.